الإسلام

مَجلة فصلية مُصَوّرة تعنى بالآثار والتراث

العدد الخامس عشر (١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ)

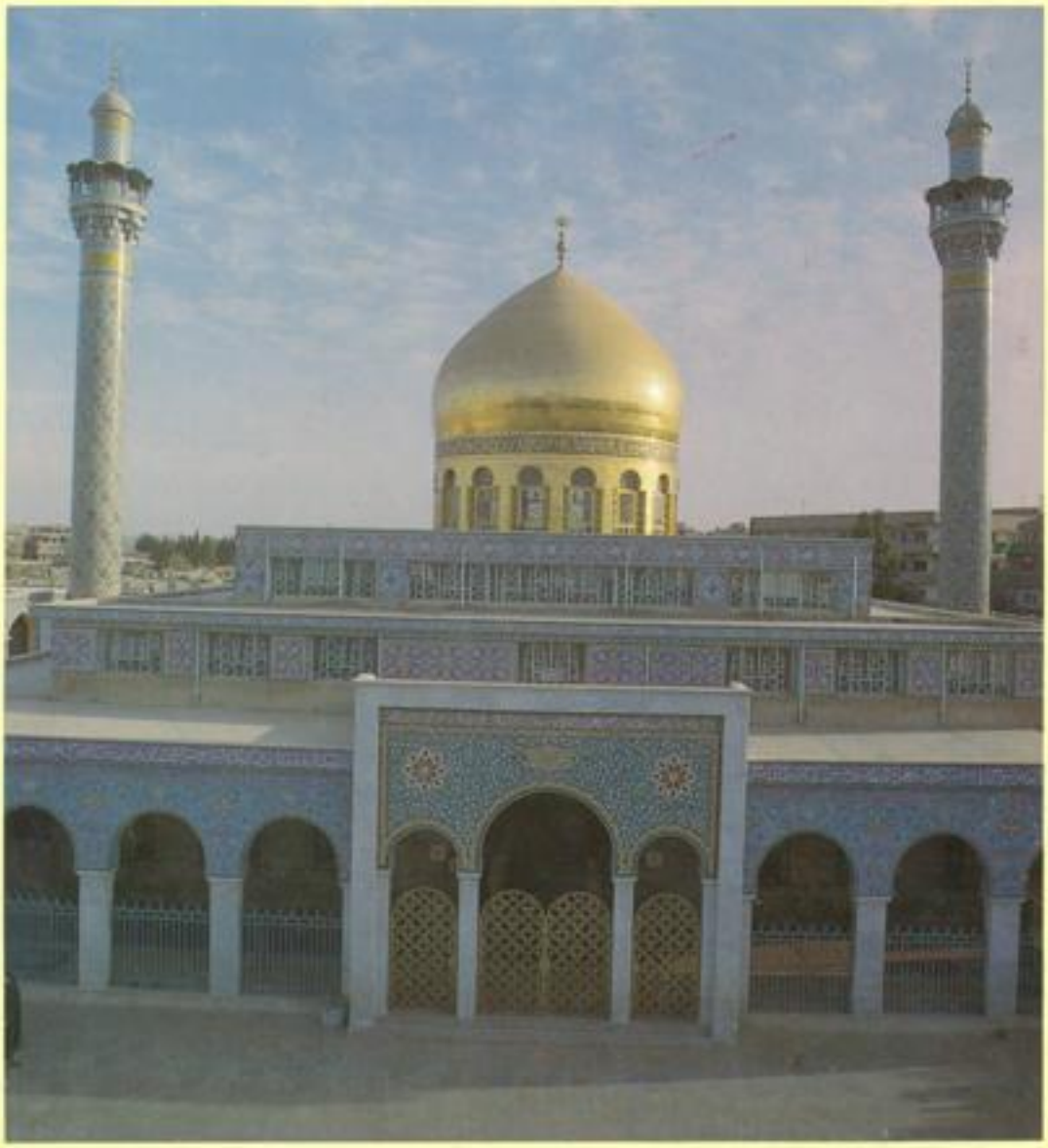

المشهد الزينبي الشريف بدمشق الشام

الانوار

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

مؤسس

أكاديمية الكوفة

هولندة

المراسلات

KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
www.aimawsem.net
www.shiaparlement.com

مفاهيم إسلامية بلغة هندسية

● أحمد عبد الحسين المسقطي(*)
(المانيا)

الخرافة والتوحيد

المُسَلَّمات العقلية:

١) فاقد الشيء لا يعطيه.

٢) استحالة اجتماع النقيضين.

٣) قانون العلية أو السببيَّة.

٤) النظام لا يتولد من الصدفة أو العشوائية لا تولد النظام.

الخالق والمخلوق:

المخلوق يخضع لعاملي الزمان والمكان ومبدأ الافتقار.

الخالق لا يخضع لعاملي الزمان والمكان ومبدأ الافتقار.

الخرافة:

أ) الخرافة في التصور الألهي (آلهة).

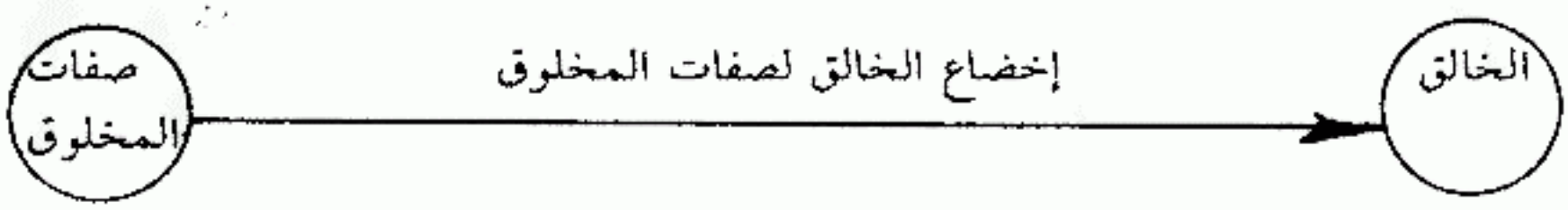

ب) الخرافة في نكران الله (الإلحاد).

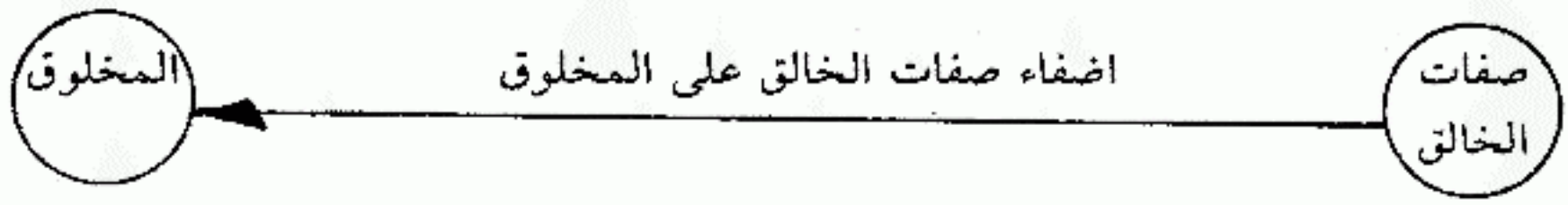

لتوحيد:

الخالق لا يتصف بصفات المخلوق.

المخلوق لا يتصف بصفات الخالق.

التوحيد يمثل عائقاً يمنع تبادل الصفات بين الخالق والمخلوق.

لمخرف:

هو كل من يؤمن بالخرافة.

(*) ولد في كربلاء بالعراق عام ١٩٣٧ في أسرة عمانية تمتهن التجارة، أكمل دراسته الثانوية في بغداد ودرس الهندسة الميكانيكية في ألمانيا وعمل مدرساً بكلية الهندسة (جامعة بغداد) كما عمل نائباً لمدير الصناعة في وزارة التجارة والصناعة في مسقط، ويعمل الآن في قسم البحوث في شركة «فولكسواجن» بمدينة فولسبرغ الألمانية، يلازم من الأصدقاء بصفة دائمة الكتاب وآلة التصوير.

المخرف إما أن يكون ملحدا او مؤمناً بأي دين كان إن كان تصوره الإلهي يتعارض مع التوحيد والمسلمات العقلية. المرء إما أن يكون مُوحِداً أو مُخرفاً.

تطبيقات على الخرافة

مفهوم الزمن والخلود:

الزمن: مقياس لأي تغير يطرأ على الوجود المادي.

التغيير: خضوع الشيء لعامل الزمن.

الخلود: انعدام التغيير أي انعدام الزمن.

عدم خضوع الشيء لعامل الزمن.

أمثلة للتغير:

١) التغير بين النور والظلام ـ الليل والنهار.

٢) التغير في درجات الحرارة والإضاءة ـ الفصول الأربعة.

٣) التغير المكاني: تغير انتقالي ودوراني.

٤) التغير البيولوجي: النمو، الشيخوخة، الموت. . . . وهكذا.

خرافة الإلحاد:

١) الادعاء بخلود المادة.

الحقيقة الفيزياوية: المادة في تغير.

عدم خضوع الشيء لعامل الزمن وخضوعه لعامل الزمن في آن واحد يعني اجتماع النقيضين وهذه خرافة لاستحالة اجتماع النقيضين.

٢) المادة تُسَيِّرْ نفسها بنفسها ـ مبدأ الاستغناء.

الحقيقة الفيزياوية: كل شيء في الوجود يفتقر وجوده إلى وجود غيره ـ مبدأ الافتقار.

خضوع الشيء لمبدأ الاستغناء ومبدأ الافتقار في آن واحد يعني اجتماع النقيضين وهذه خرافة لاستحالة اجتماع النقيضين.

الخرافة في الأديان:

١) المسيحي المخرف: الإيمان بالحلول يعني أن يكون المسيح خالقاً ومخلوقاً في آن واحد.

خضوع الشيء للزمان والمكان ومبدأ الافتقار وعدم خضوعه للزمان والمكان ومبدأ الافتقار في آن واحد. يعني اجتماع النقيضين وهذه خرافة لاستحالة اجتماع النقيضين.

٢) المسلم المخرف: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. الإيمان برؤية الله يوم القيامة خرافة.

الرؤية بالعين تعني تحديد مكاني والخالق لا يخضع لمكان معين كما ورد.

تحقيق الذات والشذوذ

تحقيق الذات: ١) الاستسلام والعبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى.

٢) إشباع متطلبات الفطرة السليمة باتزان. (لا افراط ولا تفريط).
تحطيم الذات: ١)الاستسلام والعبودية لهوى النفس واللذات والشهوات والإفراط.
٢) الحرمان من إشباع متطلبات الفطرة السليمة ـ التفريط.
الشذوذ: الحرمان من تحقيق الذات يؤدي إلى الشذوذ.
مظاهر الشذوذ: البحث عن التعويض في محاولة يائسة لإشباع متطلبات الفطرة.
قانون التعويض: التعويض لا يُعَوَّض.
مجال التعويض: الإفراط والتفريط كمظهر من مظاهر الشذوذ يقعان في مجال التعويض.
الفطرة السليمة ـ التعويض ـ قانون التعويض ـ أسباب ومظاهر الشذوذ.

أمثلة:

١ـ الفطرة السليمة ـ التوحيد

التدين التكويني: ﴿وإذْ أخذ ربُّكَ من بني آدم من ظهورهم ذُرِّيَتَهمْ واشهدهم على أنفسهم الست بربكُم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين﴾.
الأعراف ١٧٢

التدين الفطري: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فِطرَت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعملون﴾.
روم ٣٠

التعويض: تعويض التوحيد بالشرك.
قانون التعويض: التوحيد لا يُعَوَّض بالشرك.
الله لا يُعَوَّض بالآلهة.
أسباب الشذوذ: الحرمان من الإيمان بالتوحيد.
مظاهر الشذوذ: الإعراض عن الله والإقبال على الدنيا.
حب الترف والتبذير: ﴿وتأكلون التراث أكلا لَمّا وتحبون المال حبا جَمّا﴾.
الفجر ٢٠

٢ ـ الفطرة السليمة: حب الأبناء.
﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾.
الكهف ١٨

التعويض: تعويض الأبناء بالحيوانات.
قانون التعويض: تبني كلباً لا يعوض عن تبني أبناء.
أسباب الشذوذ: الحرمان من الأبناء.
مظاهر الشذوذ: حب الحيوانات أكثر من حب البشر.

٣ ـ الفطرة السليمة ـ الحياة الزوجية

﴿ومن آياته إن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

الروم ٢١

التعويض: تعويض الحياة الزوجية بحياة جنسية غير شرعية.
قانون التعويض: الحياة الزوجية لا يمكن تعويضها بحياة جنسية غير شرعية.
أسباب الشذوذ: الحرمان من الحياة الزوجية الناجحة.
مظاهر الشذوذ: حب الزنا أو اللواط وكل أنواع الشذوذ الجنسي.

النظرة التوحيدية للاشياء او مكانة الشيء بين الاشياء

التحليل الهندسي : الدائرة الكبيرة التي تحتوي على الدوائر الصغيرة تمثل حدود عالم الحواس . مركز الدائرة عبارة عن نقطة . النقطة لا تحتوي علي ابعاد مكانية بل على موقع مكاني .

الفوضى : الدوائر المبعثرة هنا وهناك في اعلى اللوحة ليس لها مركزاً مشتركاً .
النظام : الدوائر المبعثرة قد نظمت بعد رسمها حول مركز مشترك .

مفهوم هندسي	مفهوم ديني
الدوائر	اشياء
موقع المركز	مكانة الشيء
المركز المشترك	الخالق المشترك ـ الله خالق كل شيء

النظرة التوحيدية : القائمة على وجود خالق مشترك للاشياء ترى الوجود على شكل نظام وهدف معين .

النظرة الالحادية : القائمة على انكار الخالق ترى الوجود وجوداً فوضوياً وعبثياً قائماً على الصدفة .

المعرفة : الاشياء تعرف بتوحيد الحق ولا يعرف الحق بالاشياء .
ـ معرفة الحق (الخالق) اولاً تؤدي حتماً الى معرفة الاشياء .
معرفة الاشياء لا تؤدي دائماً الى معرفة مكانة الشيء. المقصود بمعرفة مكانة الشيء هي معرفة اهداف وجود الشيء ـ الاصل ـ الهدف ـ المصير عالم الخلق لا معنى له الا في ملكوت الحق وفقدان المعنى يجر الى الصدفة ، الفوضوية .

النظرة والمنظار : ملاحظة : يستعمل المنظار هنا كرمز للعقيدة التي يؤمن بها الانسان .

المنظار يحدد النظرة . فاذا وضع الانسان منظارا اسودا على عينيه يجد كل شيء معتما (النظرة التشاؤمية) . واذا كار المنظار احمرا يجد كل شيء احمرا (النظرة الاشتراكية) ولكنه اذا وضع على عينيه منظارا شفافا يرى كل شيء على حقيقته الظاهرة .
وهكذا نجد بان الانسان يرى الاشياء على ضوء منظاره والمثال الذي يقال بان المتفاءل

يرى الكأس ممتلئا بالماء الى نصفه فيقول : ان هذا الكأس نصفه مملوء والمتشائم يقول بان الكأس نصفه فارغ وهكذا .

التوحيد بلغة الرياضيات : ١) كل الارقام تشترك بصفة واحدة وهذه الصفة هي انها قابلة للقسمة على رقم واحد . فرقم واحد يمثل القاسم المشترك للارقام كلها . واذا عوضنا الارقام بالمخلوقات والقاسم المشترك بالخالق فنقول بان كل المخلوقات تشترك في صفة واحدة وهي ان لها خالقاً مشتركاً .

٢) المجموع الفردي : الكل يساوي مجموع الاجزاء . $A = \sum_{j=1}^{n} a_j$

المجموع النسبي : الكل يساوي النِسَبْ ، الجزء له علاقة $A = \sum_{j=1}^{n} \frac{a_i}{A}$ بالكل واذا عوضنا الجزء بالشيء فان المجموع النسبي يعكس فكرة التوحيد .

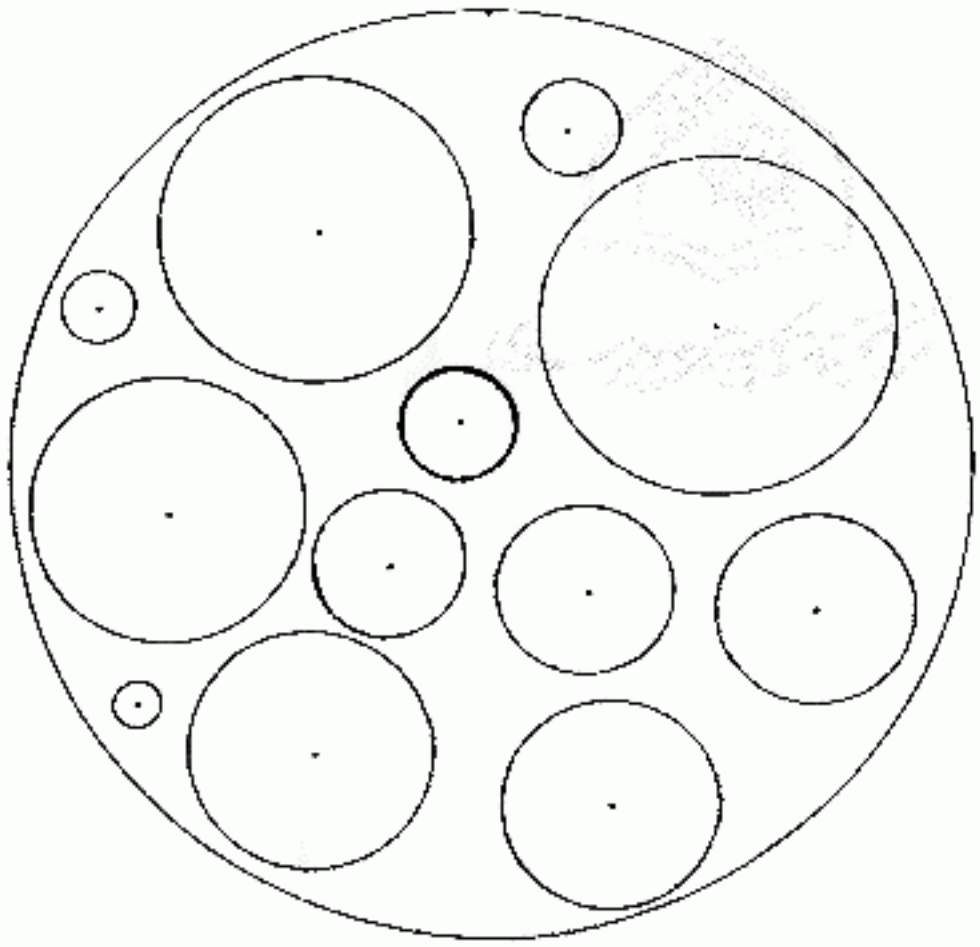

النظرة التوحيدية للأشياء

أو مكانة الشيء

العوالم

العالم الحقيقي : المصدر ـ عالم الملك ـ عالم القيم ـ وصدر كل شيء ـ منه واليه كل شيء .

التأثيرات : طبيعة تأثيرات العالم الحقيقي على الانسان تظهر كما يلي :

١ ـ عالم الشهادة :

أ) عالم الحواس : تأثيرات العالم الحقيقي على الحواس الخمس تُكَوّن العالم الظاهري ـ العالم المرئي العالم الملموس .

ب) عالم الارقام ـ تأثيرات العالم الحقيقي على اجهزة القياس ـ عالم العلوم الطبيعية .

٢ ـ عالم الغيب : عالم الاحساس .

تأثيرات العالم الحقيقي على القلب والمقصود بالقلب هو العقل ، التفكر ، البصيرة والوجدان .

طبيعة كل عالم من العوالم المذكورة تعتمد على ثلاثة عوامل :

١) طبيعة المصدر ـ طبيعة العالم الحقيقي ـ المرسل .

٢) طبيعة الاشارات ـ الارسال .

٣) طبيعة المستلم اتجاه الارسال اي طبيعة حواسه الخمس واحساسه (القلب) .

تقسيم الوجود الى عالمين مختلفين عالم الغيب وعالم الشهادة اي عالم مخفي لغيابه عن الحواس وعالم المشاهدة لحضوره في الحواس يعود الى طبيعة المستلم الذي يملك نوعين مختلفين من اجهزة الاستلام : اجهزة الحواس ثم القلب ولا يعود الى طبيعة المصدر نفسه . فالوجود بحد ذاته هو وجود واحد غير قابل للتقسيم .

التبادل : المصدر يرسل الى المستلم

المسلم يستلم الارسال

مثال ١ :

المرسل يرسل برسالة الى المستلم

فهم المستلم للرسالة يعتمد على العوامل المدرجة :

١ ـ طبيعة المرسل ان كان يحسن التعبير عن افكاره او لا يحسن .

٢ ـ طبيعة الرسالة

ـ ان كان تعبيرها واضحا بحيث يفهم المرء ما يريده المرسل او لا يفهم .

ـ الخط جيد او رديء ـ هل يمكن قراءة الرسالة ام لا يمكن .

٣ ـ طبيعة المستلم

ـ ان كان يفهم لغة المرسل او لا يفهمه .

ـ ان كان يعرف القراءة ام لا يعرفه .

ـ ان كان قد تمكن من قراءة الخط ام لم يتمكن .

ـ ان كان قد فهم التعبير ام لم يفهم .

ـ ان كان اعمى او بصيرا .

مثال ٢ : الشمس

الاشارات التي نستلمها من الشمس لها ثلاثة انواع من التأثيرات على المستلم .

١ ـ تأثير الضوء والحرارة على حواس المستلم (العين والبشرة) .

٢ ـ تأثير الضوء والحرارة على احساس المستلم (القلب) سبحان الله خالق كل شيء . المستلم يتأثر بالضوء والحرارة فقط اذا كان قلبه اعمى ويتأثر بالحرارة فقط اذا كان اعمى البصر واعمى البصيرة (اعمى القلب) فقد البصر اهون من فقد البصيرة ـ الامام علي (ع) .

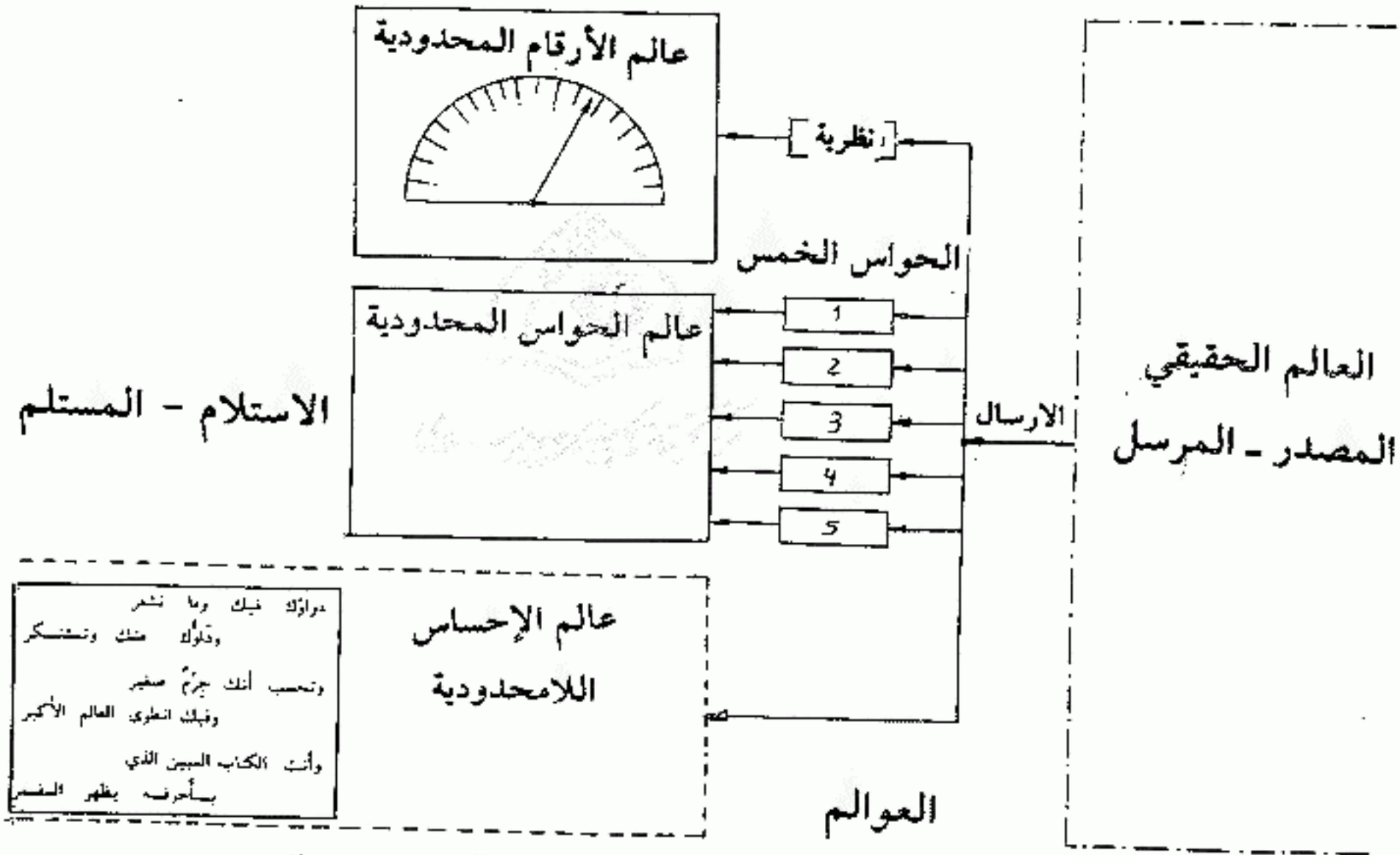

سلامة التبادل : ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا .

١ ـ سلامة المرسل : الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ سلامة الارسال ووضوحه : الوحي .

٣ ـ سلامة المستلم : النبي .

طبيعة المستلم :

١) عالم الحواس يختلف حسب طبيعة الحواس المختلفة .

اختلاف حواس الانسان عن الحيوانات .

اختلاف حواس الحيوانات فيما بينها .

٢) عالم الارقام يعتمد على طبيعة اجهزة الاستلام .

مثال ـ الشمس

عالم الحواس	عالم الارقام
١ ـ الضوء	موجة طولها $(0.39 \div 0.77).10^{-3}mm$
٢ ـ الحرارة	موجة طولها $(0.8 \div 800).10^{-3}mm$

طبيعة الارسال :

١) ارسالات لها تأثير على الحواس واجهزة القياس ويمكن ترجمتها الى ارقام ـ العلوم الطبيعية .

٢) ارسالات ليس لها تأثير على اجهزة القياس ولا يمكن ترجمتها الى ارقام فهي خارجة عن نطاق العلوم الطبيعية وتسمى الميتافيزيقيا او ما وراء الطبيعة .

٣) الظواهر الطبيعية تتجلى للانسان نتيجة تأثيرات الارسال التي تتركها عليه . الظواهر الطبيعية حسب المنطق القرآني تسمى بالآيات والتي تعني العلامات او الاشارات وهي بمعناها العام : الوجود آيات للمُوجِد او المخلوقات آيات للخالق .

الظواهر الطبيعية : تتسم بالثبات وتسمى بسنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

الثبات يدل على النظام ـ لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون .

النظريات العلمية : هي محاولات لاخضاع نظام ظاهرة طبيعية لنظرية معينة .

ومعيار جودة اي نظرية تحدد بامكانية التنبؤ بحادثة في المستقبل ان توفرت لها نفس شروط الحادثة في الحاضر والماضي . القرآن ينبه الى الظواهر الطبيعية المنظمة ولا يتطرق الى النظريات العلمية على الاطلاق ومن الخطأ الفادح الشائع ان ينسب اليه ما هو غريب عنه كالاعجاز العلمي أو الطبي في القرآن .

التعليق : الوصف الفيزياوي للظواهر الطبيعية باستخدام لغة الرياضيات يبقى محصورا فقط في نطاق كيفية التعامل مع هذه الظواهر وطريقة الاستفادة منها لاستخدامها للبشر ولا يعتبر هذا الوصف مطابقاً لماهية الشيء او جوهره او حقيقته او وصفا للحقائق المطلقة على الاطلاق بقدر ما هو ترجمة الاستلام الى لغة المستلم وليس اكثر او اقل من هذا والترجمة ليست مطابقة للاصل (لغة المُرسل) الظواهر الطبيعية (لا تتغير) ، النظريات العلمية قابلة للتغيير .

لغة المنطق : اعتقد بوجود الله لان المخلوقات تدل على الخالق .

لغة الوجدان ـ الاشراق ـ اشعر بوجود الله لانني اشعر بوجود الله .

الحقيقة وتاثيرها

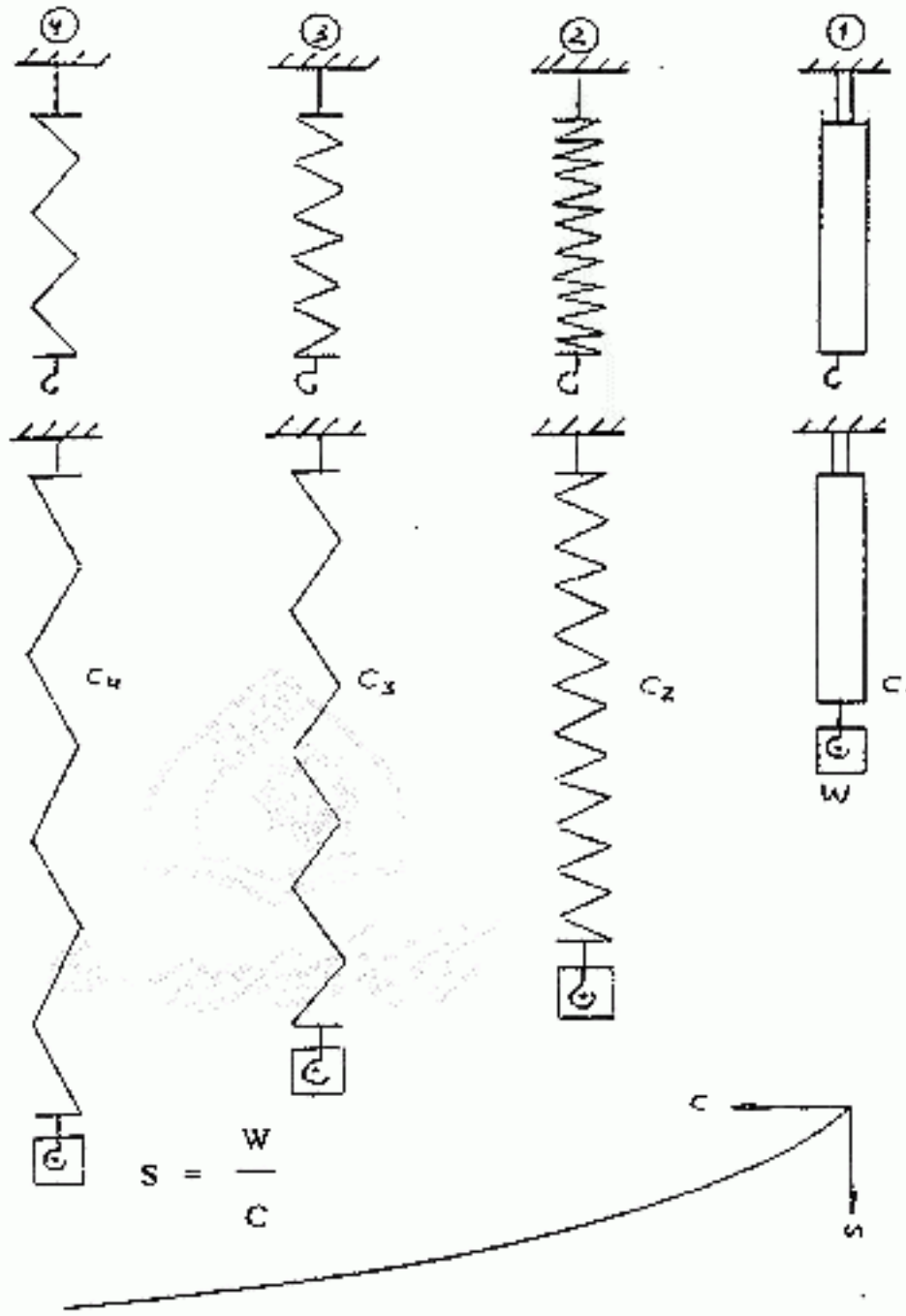

التحليل الهندسي : في اعلى اللوحة نجد اربعة اجسام معلقة . الجسم الاول جسم صلب والاجسام الثلاثة الاخرى على شكل حلزون بأطوال متساوية قابلة للتمدد تحت تأثير ثقل .

في اسفل اللوحة نجد الاجسام الاربعة وقد علقت عليها وزنا معينا متساويا ، ونظرا لاختلاف هذه الاجسام في درجة الصلابة او المقاومة اتجاه هذا الوزن نجد تمدداً مختلفاً حسب درجة الصلابة .

الجسم الاول لم يتأثر او بالاحرى لم يتمدد اتجاه الوزن المعلق عليه نظراً لصلابته او مقاومته الشديدة بينما الاجسام الاخرى تمددت كل جسم حسب درجة صلابته .

التحليل الهندسي	التحليل الديني
انواع من الاجسام	انواع من البشر
وزن واحد	حقيقة واحدة
درجة الصلابة	درجة البصيرة
الصلابة الشديدة	انعدام البصيرة
التمدد	الاحساس
انعدام التمدد	انعدام الاحساس

البصيرة والإحساس في القرآن الكريم

الاحساس : ﴿واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين .﴾ مائدة ٨٣

﴿الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي من يشاء .﴾ زمر ٢٣

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب .﴾ رعد ٢٨

﴿انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا .﴾ الانفال

البصيرة : ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربما ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .﴾ آل عمران ٩١

انعدام الاحساس : ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون .﴾ البقرة ٨٨

﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة .﴾ البقرة ٧٤

انعدام البصيرة : ﴿وما تأتهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين .﴾ يس ٤٦

﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون .﴾ الاعراف ١٠١

﴿فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور .﴾ الحج ٤٦

المكانة والمصير

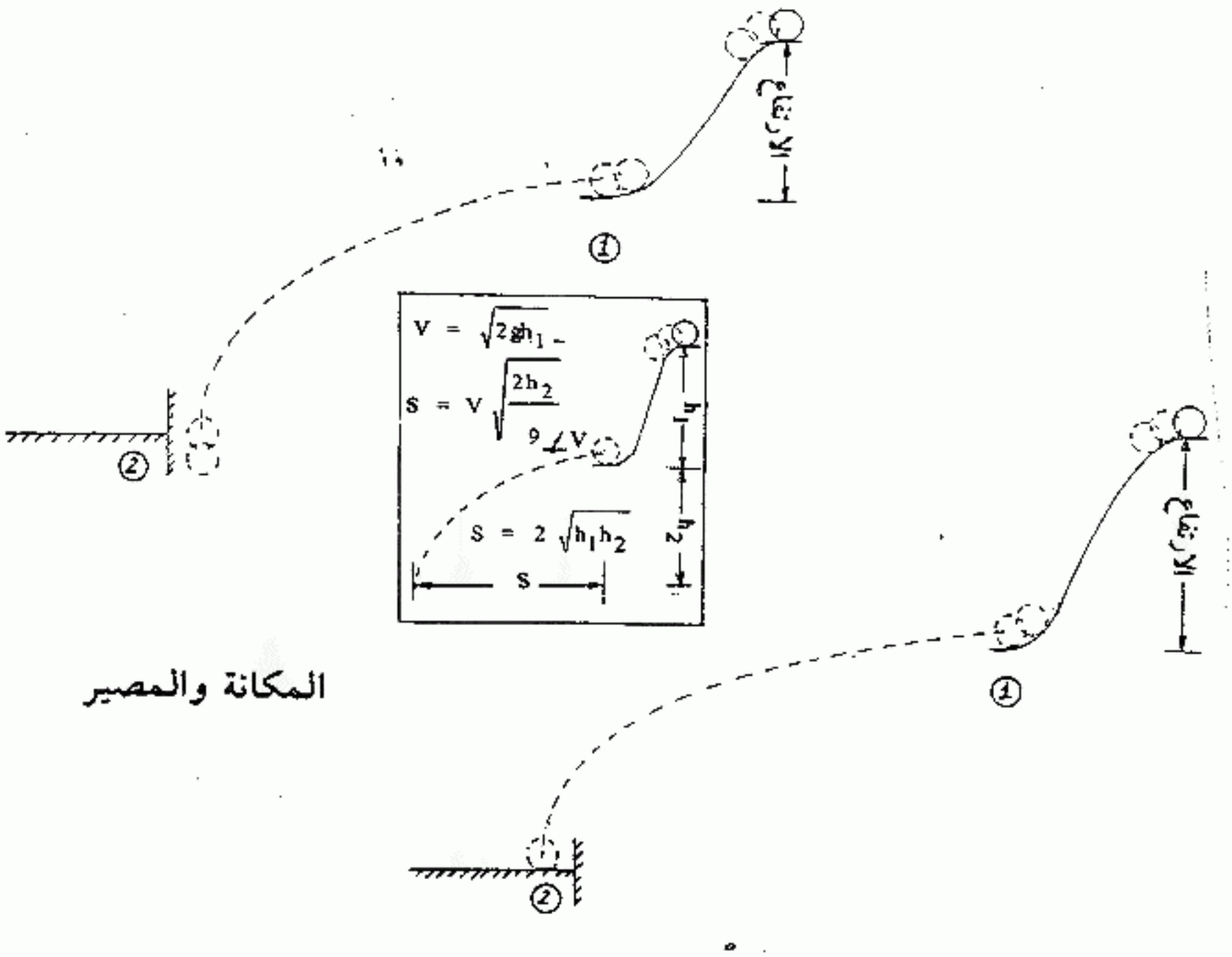

المكانة والمصير

التحليل الهندسي : في القسم الاعلى من اللوحة نرى جسما يندحرج على سطح مائل وعند وصوله حافة السطح يملك سرعة معينة . هذه السرعة تعتمد فقط على ارتفاع القمة التي نزل منها فكلما كانت القمة اكثر ارتفاعا كلما كانت سرعة الجسم عند الوصول الى الحافة اكبر بعد نزوله من تلك القمة .

الجسم في القسم الاعلى من اللوحة لم يحصل على سرعة كافية ليصل الحافة الثانية بل سقط في الهاوية .

قمة السطح المائل في القسم السفلي من اللوحة اكثر ارتفاعاً من القمة في القسم الاعلى وبناء على ذلك فان الجسم في القسم السفلي يملك سرعة اكبر تمكنه من الوصول الى الحافة الثانية .

وهكذا نجد بان مصير الجسم ان كان يسقط في الهاوية او يصل الى الحافة الثانية يعتمد اعتمادا كليا على ارتفاع القمة التي ينزل منها او المكانة العالية قبل النزول .

التحليل الهندسي	**التحليل الديني**
الكرة	الانسان
الارتفاع او المكانة العالية	المكانة العالية عند الله
عن سطح الارض	على الارض
الهاوية	وما ادراك ما هي نار حامية

قانون المكانة

مكانة الانسان في الدنيا = مكانة الانسان في الآخرة

مزرعة الخير والشر في الدنيا = حصاد الخير والشر في الآخرة

الدنيا مزرعة الآخرة .

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها الا التي كان قبل الموت بانيها

المكانة في الدنيا	**المكانة في الآخرة**
ان اكرمكم عند الله اتقاكم	عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
الله ولي الذين آمنوا	ان المتقين في مقام امين
	ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر
الا ان اولياء الله	لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم	
ثم رددناه اسفل سافلين	انها ساءت مستقرا ومقاما .
الا الذين آمنوا	خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما .

عدم الوقوع في الهاوية باجتياز الهوة السحيقة :

كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وادخل

الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . آل عمران ١٨٥

القوة والفعل

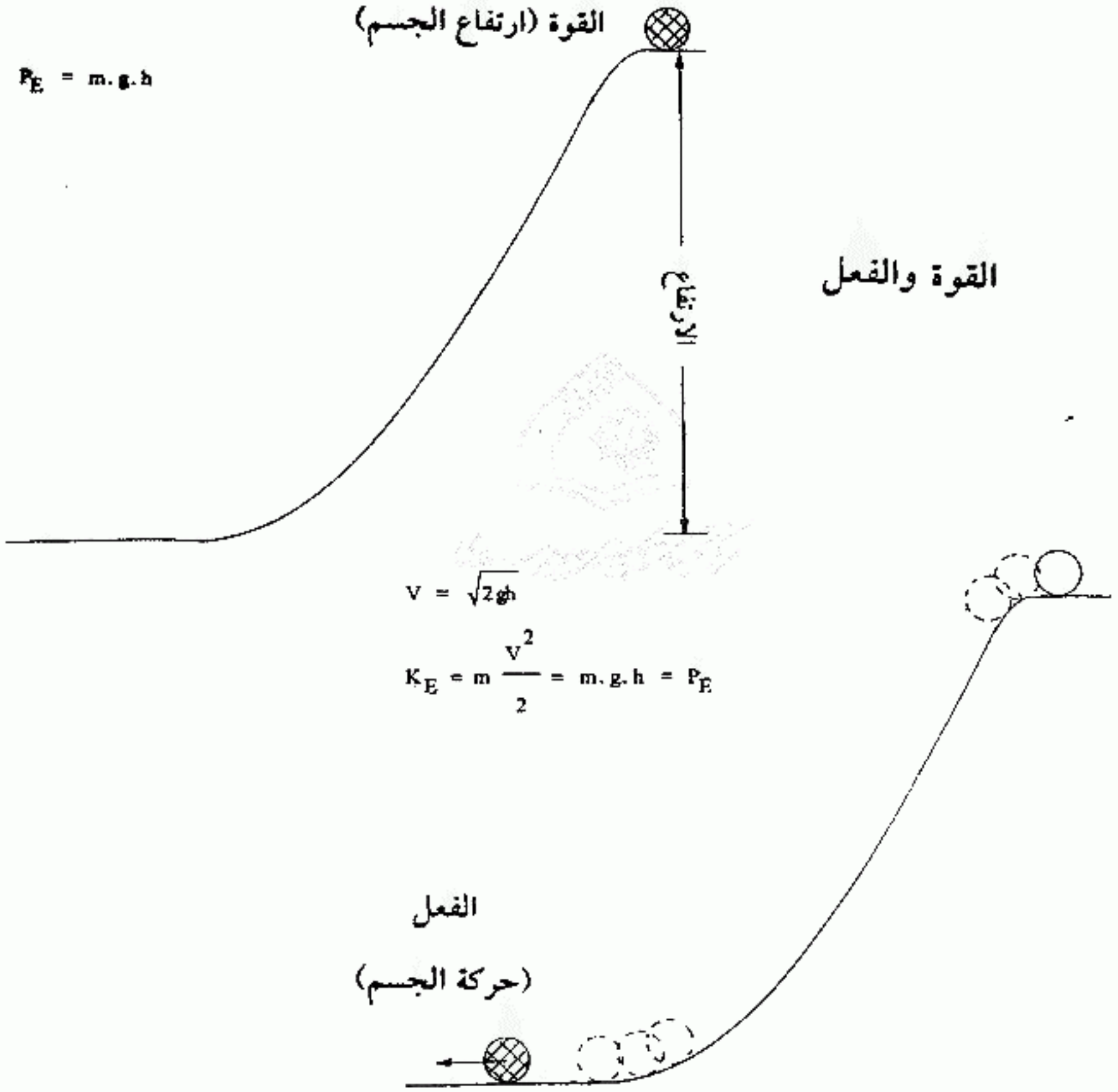

التحليل الهندسي : في القسم الاعلى من اللوحة نجد جسما ساكنا على ارتفاع معينا من سطح الارض . الجسم بهذه الوضعية يملك امكانية التحرك على السطح المائل لو تهيأت له الفرصة ليتدحرج فيصل الارض . امتلاك هذه الامكانية تسمى في لغة الفيزياء بالطاقة الكامنة او الطاقة الوضعية . كمية هذه الطاقة تتحدد بمقدار ارتفاع الجسم عن سطح الارض ووزنه .

الجسم متحرك بالقوة .

في القسم السفلى من اللوحة نجد الآن نفس الجسم وقد تهيأت له امكانية التدحرج

على السطح المائل فوصل الى حافة الطريق بسرعة معينة فهو يملك بلغة الفيزياء طاقة حركية . الجسم متحرك بالفعل .

القوة اصطلاحاً : هي القابلية والاستعداد في شيء ما لأن يتصف بصفة معينة . فمواد البناء دار بالقوة ، والطفل عالم بالقوة ، أي لا تستحيل ـ استحالة ذاتية ـ صيرورة المواد داراً والطفل عالماً . فان توفرت الشروط اللازمة تحققت الصيرورة ، وان فقد بعضها امتنعت . وعليه فالبذرة شجرة بالقوة ، والشجرة بذرة بالقوة .

والفعل اصطلاحاً : اتصاف شيء بصفة معينة حينما ننسب اليه تلك الصفة . فاذا قلت أنا أقرأ بالفعل ، فمعناه أنا متلبس بالقراءة حال قولي أنا أقرأ ، وعليه فالطفل ليس عالماً بالفعل ، والمواد ليست داراً بالفعل والبذرة ليست شجرة بالفعل وهكذا .

امثلة للقوة

١) العالم بالقوة

ـ وعلم آدم الاسماء كلها

ـ علم الانسان ما لم يعلم

٢) التكلم بالقوة

ـ علمه البيان

٣) الكتابة بالقوة

ـ الذي علم بالقلم

التطبيقات :

١) التناقض

ـ التناقض في الاصطلاح المنطقي

الجسم يكون ساكنا ومتحركا في آن واحد .

ـ التفسير الخاطىء للتناقض عند المادية الجدلية (الديالكتيك)

بينما التناقض في الاصطلاح المنطقي مستحيل الوقوع بالبداهة نجد التناقض عند الجدلين أمراً واقعاً .

بينما المنطقيون لا يعتبرون انتقال الشيء من مرحلة القوة الى مرحلة الفعلية تناقضا نجد الجدليون يعتبرون التناقض هو حركة الشيء التطورية من مرحلة القوة الى مرحلة الفعلية ، هو سر الحركة التي هي سر كل تطور في نظرهم اي ان التطور قائم على التناقض .

٢) علم النفس الارضي :

يبدأ علم النفس الارضي دراسته للعمليات النفسية بالبحث عن أصولها الاولى ، أي «المحرك» الأساس لنشاط الكائن الآدمي .

طبيعي ، ثمة (أصل) عام يتجاوزه الباحثون عادة ، ما دام هذا (الأصل) يشكل (بديهة) مألوفة حتى في أذهان البدائيين ، ونعني بها ، مبدأ (البحث عن اللذة والاجتناب عن لألم) . فالكائنات الآدمية جميعاً تصدر عن المبدأ المذكور في نشاطها بأكمله . إنها حين نجوع مثلاً تبحث عن (لذة) هي (الشبع) ، وتجتنب (ألماً) ، هو (الجوع) . وحينما تلفّها

(العزلة) مثلا ، تبحث عن لذة هي (الانتماء الاجتماعي) تجتنب ألماً هو العزلة وحتى حينما تختار (العزلة) فهي تبحث عن لذة الهدوء وتجنب (ألم) الضوضاء والصخب وهكذا .

أقول : إذا تجاوزنا هذا (المبدأ) الرئيسي في دفع الكائن الآدمي الى الحركة والنشاط ، حينئذ يواجهنا البحث عن الأصول المجسدة للمبدأ المذكور .

إن علم النفس الأرضي يقدم (وجهات نظر) متنوعة في هذا الصدد : تتفاوت من باحث لآخر دون أن يرسو على مرفأ محدد في تبيين الأصول وتصنيفها .

ويجيء الأصل القائل بأن (الغريزة) المجسدة لمبدأ اللذة ، واحداً من النظريات التي تحاول أن تفسر العمليات النفسية في ضوئها . وتقول هذه النظرية : إن الكائن الآدمي يصدر عن مجموعة من (الغرائز) تدفعه الى الحركة والنشاط ، ومثالها غريزة البحث عن الطعام ، غريزة الاجتماع ، غريزة القتال . . الخ .

هذه (الغرائز) قد تكون ذات (أصل حيوي) كالطعام ، والجنس ، والنوم ، ونحوها . وقد تكون ذات (أصل نفسي) كالانتماء الاجتماعي ، والمقاتلة ، والخنوع ، وسواها .

وفي الحالتين فانه هذه (الغرائز) تشكل إرثاً فطرياً يحمل الآدميين على التحرك من خلالها .

إن وجهة النظر الاسلامية ، تضع فارقاً بين الأصل البيولوجي والأصل النفسي من جانب ، حينما تحدد أساساً فطرياً عاماً لكل الأصول : بيولوجية كانت أم نفسية من جانب آخر .

وقبل أن نعرض لوجهة النظر الاسلامية يحسن بنا أن نقف اولاً على الخطأ الذي قامت عليه نظرية (الغرائز) ، والنظرية المضادة لها أيضاً .

أما الخطأ الذي غلف نظرية (الغرائز) فيتمثل في أن هذه النظرية لم تصطنع فارقاً بين «الأصل الحيوي» كالبحث عن الطعام ، وبين «الأصل النفسي» كالمقاتلة والسيطرة والتملك وغيرها . لقد اخضعت هذين الأصلين لنمط واحد من (الغرائز) ، في حين أن أحدهما مختلف عن الآخر تماماً . فنحن حينما (نجوع) مثلاً ، فان التقلص العضلي للمعدة لا يمكن أن يزاح إلا بتناول الطعام . وهذا يعني أن الأصل الحيوي ، نرثه فطرياً ، ولا مجال لتعديله . بيد أننا حينما نحس بالرغبة الى المقاتلة أو التملك أو غيرهما ، فان هذه الرغبة من الممكن أن (تعدل) وتحور الى رغبة مضادة هي : المسالمة ، والزهد بمتاع الحياة ، وهكذا . وهذا يعني ان (الأصل النفسي) لا نرثه فطرياً بل تتكفل البيئة بتحديده .

ولكن هل يعني ذلك ان (الأصول النفسية) لا تخضع البتة لأي جهاز فطري ؟؟

طبيعي ، لا : كل ما في الأمر ، أن الجهاز الفطري (للأصول النفسية) متميز عن الجهاز الفطري «للأصول البيولوجية» . إن الفارق بينهما هو : أن **الأصل البيولوجي موروث** بـ(الفعل) . **والأصل النفسي موروث** بـ(القوة) ، ومعنى (الفعل) : أننا نرث جهازاً عضلياً للمعدة يتقلص بالضرورة في حالة «الجوع» مثلاً .

أما (القوة) فتعني أننا نمتلك (قابلية موروثة) لأن نصبح ذات يوم (مسالمين) أو نصبح

ذات يوم (اعتدائيين) . ان (القابلية) ذاتها تشكل ارثاً فطرياً . أما تحقيقها في فعل عدواني أو فعل مسالم فأمر خاضع للمحيط أي للتنشئة الاجتماعية التي نخضع لها .

ومن هنا ، فان تسمية (العدوان) بـ(غريزة) تظل تسمية خاطئة ، لأن (العدوان) أو (المسالمة) لا نولد مزودين بهما ، بل اننا نولد مزودين بـ(قابلية) على العدوان أو المسالمة . هذا هو الخطأ الأساسي الذي انطوت عليه نظرية الغرائز حينما أخضع صاحبها كلاً من الأصل البيولوجي والأصل النفسي لنمط واحد من الميراث الفطري ، في حين أن أولهما موروث بـ(الفعل) ، والآخر موروث بـ(القوة) .

أما الخطأ الذي غلف النظرية المضادة للغريزة ، فيتمثل في غفلتها عن الفارق بين نمطي الغريزة . فقد خيل إليها أن «العدوان أو المسالمة» فعلان (مكتسبان) دون أن يكون لهما أساس فطري هو (القابلية) أو (القوة) أو (الكمون) .

طبيعي لا يعني ذلك أننا نرث جهازاً فطرياً بـ(القوة) ، وان هذا الجهاز يضطرنا الى أن (نعتدي) أو يضطرنا الى أن (نسالم) مثلاً ، بل يعني ان عملية العدوان أو المسالمة خاضعة لـ(اختيارنا) . وإننا لو لم نمتلك أساساً فطرياً لهما لما تسنى لنا (من خلال التنشئة الاجتماعية) أن نصدر عن أحدهما أو كليهما .

في ضوء هذه الحقيقة نخلص الى أن الأصول النفسية والأصول البيولوجية ، تخضعان جميعاً الى (أرث فطري) ، أو (غريزي) . إلا أن أولهما يجسد إرثاً (فعلياً) ، والآخر يجسد إرثاً بـ(القوة) .

(الدكتور محمود البستاني: دراسات في علم النفس الإسلامي)

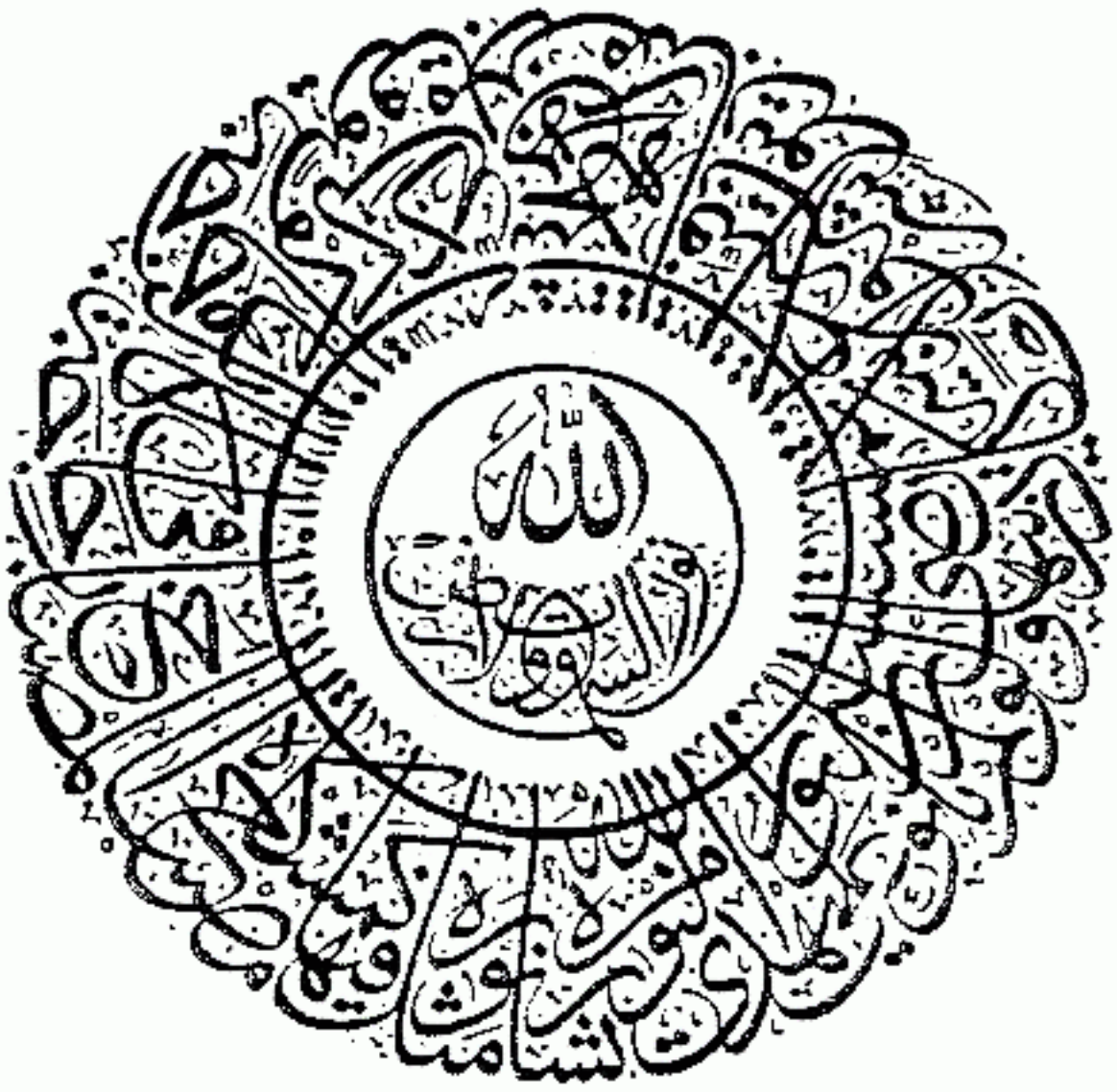

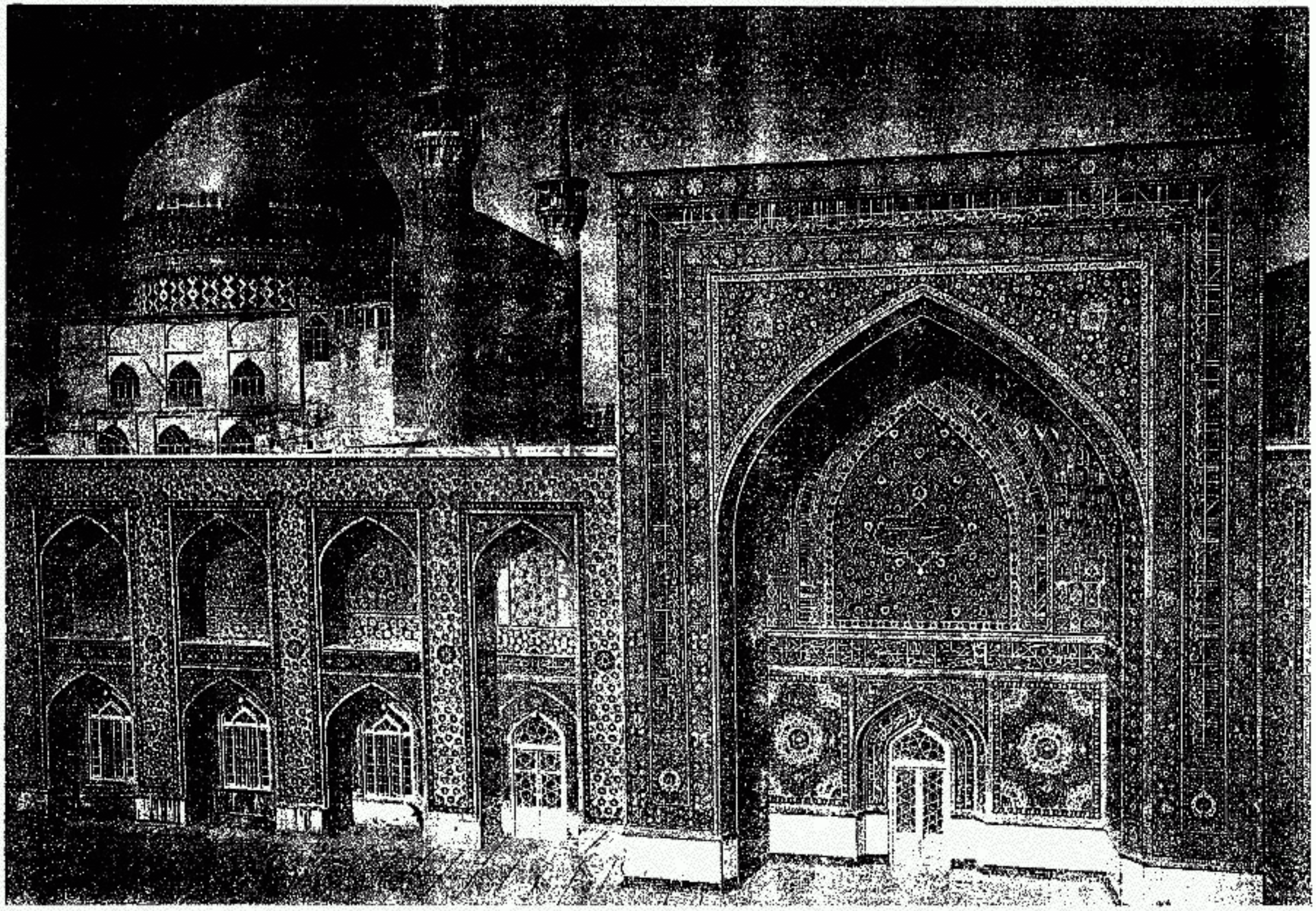

مسجد كوهرشاه في مدينة مشهد المقدسة